

1430هـ/2009م

## دور المؤرخ في الحضارة العربية الإسلامية في كتابات السخاوي

\* م.د. محمد علي صالح

تاريخ القبول: 2009/1/21

تاريخ التقديم: 2008/7/23

### فائدة التاريخ وأهميته

للتاريخ أهمية كبيرة عرفها علماء المسلمين وركزوا عليها، حتى ربط بعضهم بين القرآن الكريم والتاريخ، فقد قال ابن تيمية عن أهمية التاريخ ((فقد قالت طائفة من أهل العلم: أن القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث، ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي،... والأخبار عن المخلوق هو القصص، وهو الخبر بما كان وعما يكون، ويدخل فيه الخبر عن الأنبياء وأممهم، ومن كذبهم، والأخبار عن الجنة والنار))<sup>(1)</sup> وبذلك يكون التاريخ قد شكل ثلث آيات القرآن الكريم حسب رأي ابن تيمية.

أما السخاوي، فقد أورد العديد من الفوائد لعلم التاريخ، منها: معرفة الأمور على وجهها، وأنه إحدى الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين، لكونه من الأمور المهمة التي اعتمدها علماء الحديث في معرفة الروايات وطرقها، من خلال تحديد أعمار الشيوخ، وأن الراوي لم يلق من حدث عنه، وما يتعلق بذلك من معرفة بالإسناد من حيث الإرسال والانقطاع وغيرها<sup>(2)</sup>.  
هذا فيما يتعلق في أمور السند أما عن علاقته بالمتون فهو جم غير أورد السخاوي فيه العديد من الأمثلة، منها معرفة أخبار الأنبياء وسننهم، وأخبار العلماء ومذاهبهم، والحكماء وكلامهم وكذلك بين التاريخ أسباب مبادئ الدول وإقبالها، ثم

\* قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة الموصل.

(1) ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تفسير سورة الإخلاص، خرج أحاديثه، عبد العلي عبد الحميد، ط1، الدار السلفية (الهند: 1986)، ص30.

(2) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبیخ لمن ذم التاريخ، مكتبة المثنى، (بغداد: 1963)، ص385-386.

سبب انقارضها وتدمير الجيوش حتى قال : ((غزير النفع كثیر الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرب الأمور بأسرها وبماشر تلك الأحوال بنفسه فغزر عقله مجرياً غير غر ولا غمر))<sup>(1)</sup>.

وقد عَدَ السخاوي التاريخ، من أهم العلوم التي ترفع الهمم والتوجه نحو معالي الأمور وترك أسافلها، حين قال: ((ونحو هذا يقع فيه ذكر ذوي المروات والاجواد والمتصنفين بالوفاء ومحاسن الأخلاق والمعروفين بالشجاعة والفروسية)) (( وأنه جم الفوائد كثير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية))<sup>(2)</sup>.

وقد أسهب السخاوي كثيراً في ذكر فوائد التاريخ من خلال اقتباس الكثير من النصوص من مقدمات الكتب التاريخية، وهي الأماكن التي وضع فيها المؤرخون أفكارهم العامة عن طبيعة عملهم<sup>(3)</sup> والفوائد والأسباب التي دعت المؤلفين إلى تسطير التاريخ، ومن أولئك المؤرخين الذين نقل عنهم ابن الجوزي والعماد الأصفهاني، الذي قال: ((ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة، ولم تكن المذائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة، وتعذر الاعتبار بمسألة الأيام وعقولبتها))<sup>(4)</sup>.

### شروط المؤرخ:

وبسبب العلاقة الوثيقة بين علم الحديث وكتابة التاريخ فقد وضع علماء المسلمين شروطاً عديدة لمن يتصدى لكتابة التاريخ والولوج بهذا الفن، وتضمنت تلك الشروط نوعين، الأول ما يخص المؤرخ نفسه من صفات وسمات وأخلاق يكتب عنهم ومعرفة أحوالهم تتصلق بشخصه، والثاني ما يتعلق بأحوال من

(1) المصدر نفسه، ص 400؛ وقد أفضى ابن خلدون حول أهمية علم التاريخ، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفلم (بيروت: 1984)، ص.3.

(2) السخاوي، الإعلان، ص 401.

(3) فزائر مثل، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، مكتبة المثلث، (بغداد: 1963)، ص.61.

(4) السخاوي، الإعلان، ص 413؛ للمزيد ينظر: عز الدين محمد كمال، دراسات نقدية في المصادر التاريخية، ط 1، عالم الكتب، (بيروت: د/ت)، ص 20.

2009هـ/1430

والإطلاع على خفايا الأمور وجليلها حتى يصير ما يكتب مقبولاً عند الناس والعلماء والمتلقين والممعتنين بهذا الفن بالدرجة الأولى ولم يكن السخاوي أول من حدد هذه الشروط بل سبقه العلماء فوضعوا شروطاً عديدة في هذا المجال، إلا أن ما يميز به هو اعتنائه الفائق ب تلك الشروط والتأكيد عليها، وقد سطّرها نظرياً في كتابه (الإعلان بالتوبیخ لمن ذم التاريخ)، وفعلياً وعملياً في كتبه الأخرى التي تناولت القرن التاسع الهجري، وأبرزها ما نجده واضحاً في تراجم المؤرخين في كتاب الضوء الامم وأبرزهم مؤرخو مصر المعاصرین له أمثال المقریزی وابن تغزی بردي وغيرهم الكثير. وكما تقدم فإن العديد من العلماء وضعوا شروطاً للمؤرخ وسوف نقتصر على اثنين من أبرز علماء المسلمين وهم ابن خلدون (ت 808هـ) وابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، فقد حدد ابن خلدون في مقدمته الشهيرة شروطاً يجب أن تتتوفر في المؤرخ، فقال: ((يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبيعة الموجودات واختلاف الأمم والبقاء والأمسار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والاحتاطة بالحاضر من ذلك.... وتعليق المتفق منها والمختلف والقيام على أحوال الدول والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها)).<sup>(1)</sup>

أما ابن حجر العسقلاني فقد قسم المؤرخ في على صنفين بسبب الثقافة الدينية وقد يكون محدثاً أصلاً واحتلت شروط من يكتب التاريخ عنده، فقسم التدوين الأول وهو الواقع والأحداث، والثاني التراجم فجعل شروط من يكتب الواقع قائلاً ((قسم يقصد ضبط الواقع فهو غير متقييد بصنف منه، ولكن يلزمته التحری في النقل فلا يجزم إلا بما يتحقق، ولا يكتفي بالنقل الشائع ولا سيما أن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح. وان كان في الواقعة أمر قادح في حق المستور، فينبغي أن لا يبالغ في إفشاءه، ويكتفي

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 8؛ للمزيد ينظر: عماد الدين خليل، ابن خلدون إسلامياً، المكتب الإسلامي، ط 2 (بيروت: 1985).

بالإشارة،... ففيحتاج المؤرخ أن يكون عارفاً بمقادير الناس وبأحوالهم وبمنازلهم فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع<sup>(1)</sup>.

وأما شروط من يكتب الترجم، سواء كانت خاصة بعلم الجرح والتعديل أم ترجم الأعيان والنبلاء من غير المحدثين فشرط شروط العدالة وعدم التجني، والزيادة في الجرح، إلا لضرورة قال ((والقسم الثاني من يقتصر على ترجم الناس، فمنهم من يعم و منهم من ينقي و على كل منها ان يسلك المسلك المذكور في حق من يترجمهم، فالمشهور بالخير والدين و العلم لا يتبع مساوئه فإنه غير معصوم، والمستور قد حكمه والماهر بالفسق والجحود إذا خشي من ستر حاله ترتب مفسدة كالاغترار بجاهه أو ماله أو نسبه فينضم إلى من ليس على طريقته))<sup>(2)</sup>.

ولم تقتصر شروط ابن حجر على العدالة وعدم الاتساع بالنقد والجرح بل شملت شرطاً أخرى منها الدقة والأمانة العلمية في النقل التي يجب أن تتوافر في المؤرخ، فتجده في كتاب الدرر الكامنة يمدح أحد المؤرخين بسبب دقته وتنبأه في نقل الواقع والأحداث فوصف موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي (ت 759هـ)، ((جمع تاريخاً كبيراً في نحو خمس عشرة مجلدة.... وأفاد فيه كثيراً من الواقع والتراجم التي يحكيها عن مشاهدة، وهو كثير التحرى في النقل، ما يتحققه ينقله، وما لا يضيفه إلى قائله وربما تبراً من عهده))<sup>(3)</sup>.

وبالأسلوب نفسه ينتقد البدر العيني (ت 854هـ) بسبب عدم التثبت في النقل وتمادي حدود المعقول والواقع بالمحضور، قال: ((لكن منذ قطع ابن كثير صارت عهده على تاريخ ابن دقماق حتى يكاد يكتب من الورقة الكاملة وربما قلده فيما يهم فيه..... وأعجب منه ابن دقماق يذكر في بعض الحالات ما يدل

(1) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الجوادر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باج عبد المجيد، ط1، دار ابن حزم، (بيروت: 1999)، ط2، ص686.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص686.

(3) أحمد بن علي بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد جاد الحق، (القاهرة: د/ت)، ج6، ص146.

1430هـ/2009م

على انه شاهدها فيكتب الدر كلامه بعينه بما تضمنه وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعيد في عينتاب<sup>(1)</sup>.

### شروط المؤرخ لدى السخاوي:

وضع السخاوي قواعد عامة لمن يكتب التاريخ، وهو لا يختلف عن شيخه ابن حجر بكونه من المحدثين لذلك نجد الصلة الوثيقى بين شروط المؤرخ والمحدث ان لم تكن هي نفسها عند السخاوي، فقد أورد العديد من الشروط الواجب توافرها في المؤرخ موصوفاً بالعدالة والضبط التام الذي يؤدي إلى مزيد من الإنقاذ والتحري ولاسيما فيما يجده من النصوص<sup>(2)</sup> وان يكون المؤرخ موصوفاً بالدين والخير والورع وبعيداً عن المدح والمداهنة<sup>(3)</sup>، وبعيداً عن المبالغة وعدم الإنفاق من يخالف، بل يجب أن يقول الحق، وقد نقل في ذلك العديد من الأمثلة منها قصة شيخه ابن حجر مع القاياني على الرغم من ما كان بينهما من الجفاء<sup>(4)</sup>.  
ومن الشروط الأخرى التي أكد السخاوي عليها، أن يكون المؤرخ عالماً بطرق النقل حتى لا يجزم إلا بما يتحققه، ويكون بذلك بعيداً عن المجازفة والبهتان والعدوان وإلا وقع في المحظور ، ولا يرغب بتاريخه إلا من هو مثله وينفر عنه، العقلاه والعلماء والنبلاء والحكماء<sup>(5)</sup>، فيكون بعيداً عن الورع وإن كان معروفاً بالعلم، فلا يجوز عن الواقع بعدم الفحص والمجازفة. ويلزم المؤرخ كذلك الاكتفاء بالإشارة في الأمور القادحة، وأن يرحب عن ذكر العيوب في التراجم، لأن لا يكون

(1) ابن حجر، أحمد بن علي، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، (القاهرة: 1969)، ج 1، ص 4-5.

(2) السخاوي، الإعلان، ص 482.

(3) المصدر نفسه، ص 489.

(4) المصدر نفسه، ص 491-492.

(5) المصدر نفسه، ص 494.

المذكور وقعت منه فلتة أو من وقع فيها أيام شبله وبالأخص لمن صار بعد ذلك مقتدى به<sup>(1)</sup>.

وأضاف السخاوي، قال ((يشترط أن يكون عارفاً بمقادير الناس وبأحوالهم، فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع))<sup>(2)</sup>، وألزم المؤرخين شروط أخرى فضلاً عن العدالة والضبط وتجنب الهوى، وأن يكون عالماً بمراتب العلوم، سيما الفروع والأصول ويفهم الألفاظ ومواقعها<sup>(3)</sup>.

وقد نقل السخاوي العديد من الشروط الواجب توافرها التي وضعها علماء المسلمين من قبله لمن يكتب التاريخ، وأبرز الذين نقل عنهم الناج السبكي في كتابه (معيد النعم) قائلاً ((والمؤرخون على شفا جرفها لأنهم يتسلطون على اعراض الناس.... فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً، عادلاً، عارفاً بحال من يترجمه، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له... وأن يكون عارفاً بالمت禄ج علماً وديناً... وأن يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ حسن التصور بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله، ويعبر بعبارة لا تزيد عنه ولا تقصص، وأن لا يغلبه الهوى))<sup>(4)</sup>.

ولم يقتصر السخاوي في وصفه على الجانب النظري، في شروط المؤرخ، بل نجده يورد العديد من الأمثلة التي تؤكد وقوع بعض المؤرخين بالمحظور، وعدم الالتزام بالشروط والأحكام الخاصة بالتاريخ، فقال ((وبالجملة فالمؤرخون كغيرهم من سائر المصنفين في كل مائهم الخمر والعفيون والمرعى من عدت غلطاته، وما اشتدت سقطاته، فكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك وهي الدنيا لا يكمل فيها شيء))<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر نفسه، ص 494.

(2) المصدر نفسه، ص 495.

(3) المصدر نفسه: 496، فقد قال شيخه من قبل ابن حجر، حين وصف تاريخ ابن دقماق (وكان مع اشتغاله بالأدب عربياً عن العربية عامي العبارة) أبناء الغمر، ج 2، ص 360.

(4) السخاوي، الإعلان، ص 499-500.

(5) المصدر نفسه، ص 479-480.

أما عن عصره فقد كان السخاوي شديد على المؤرخين المعاصرين له كشيخه ابن حجر العسقلاني إذ لم يلتزموا بشروط المؤرخ، وتكمّن براءاته وشيخه في دمج علوم الحديث في التاريخ فاتسعت قدرتهم النقدية وفاقوا الأقران<sup>(1)</sup> فقال في أحد المواقع ((نعم قد ظهر الكثير من الخلل وانشر من المناكير وأشتمل على أقبح العلل، حيث انتدب لهذا الفن الشريف من اشتتمل على التحريف والتصحيف، لعدم إتقانهم شروط الرواية والنقل، وائتمانهم من لا يوصف بأمانة ولا عقل، بل صاروا يكتبون السمين مع المزيل، والمكين مع المزلزل العليل..... ويا أسفني فقد جاء بعدهم من لا يصل ولو بالغ، إليهم خصوصاً من ندب نفسه في هذا العصر لذلك وتجاسر إلى الخوض في غمرة هذه المسالك، ورأى من يهدّه بسببه غاية الإمداد من النقوذ والأقذف وجل ما يراد، مع كونه لم يصل ولا كاد لكن لكونه من نمطهم وعلى شريطتهم))<sup>(2)</sup>.

هذا وأن أبئهم السخاوي من أراد بكلامه في كتابه الإعلان فإنه قد بين من هم أولئك المؤرخون الذين تجاوزوا شروط المؤرخ المنصف في كتابه الضوء الالمعان وانتقد العديد منهم فقد أحدثهم بقلة العلم والمعرفة وعدم التحري، حين قال ((ونصب نفسه لكتابة التاريخ فكان تاريخاً لكونه لا تميّز له عن كثير من العوام إلا بالهيئة..... وبالجملة فهو من سينات الزمان))<sup>(3)</sup>.

وشملت هجمات السخاوي أعيان المؤرخين المصريين الذين لم ينتموا إلى مدرسة شيخه ابن حجر العسقلاني ، مدرسة المحدثين ، فلذلك نجده ينتقد هؤلاء بسبب قلة بضاعتهم في علم الحديث، وتاريخ الإسلام، فوصف المقرiziي - المؤرخ الشهير - بعدم الإطلاع والإلمام الذي كان سبباً في وقوع الأخطاء فقال : ((كان

(1) عنان، محمد عبد الله، مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ الإسلامي، ط 1، (القاهرة: 1969)، ص130-481.

(2) السخاوي، الإعلان، ص480-481.

(3) السخاوي، الضوء الالمعان لأعيان القرن التاسع، مكتبة الحياة، (بيروت: د/ت)، ج 5، ص218.

قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف والسقط،... وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها ، وأما الواقع الإسلامية ومعرفة الرجال وأسمائهم والجرح والتعديل والمراتب والسير وغير ذلك من أسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماه ر فيه ، وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث<sup>(1)</sup> وانتقد المقرizi فضلأً عما تقدم بأنه قد استخدم كتاب الأودي في خطط مصر ونسبة إلى نفسه من دون أن يذكر صاحبه الأصلي ، لا من بعيد أو قريب ، وهذا م ثافي لشروط المؤرخين في الأمانة وإرجاع الحق إلى أصحابه<sup>(2)</sup>.

ومن الآفات التي يقع فيها المؤرخون، ويخرجون بسببيها عن جادة الطريق والتي حددتها السخاوي ، هي القرب من أصحاب السلطان والأمراء الذين كانوا يدفعون المؤرخ إلى عدم الإنصاف ، وأبرز الذين لحقهم نقد السخاوي المؤرخ الشهير ابن تغري بردي فوصفه أولاً (( وبالجملة فقد كان حسن العشرة تام العقل، إلا أن هـ... لطيف ال مذاكرة.... بارعاً حسبما كنت أتوهمه في أحوال الترك ومناصبهم وغالب أحوالهم منفرداً بذلك لا عهد له بمن عادهم ولذلك تكثر فيه أوهامه وتختلط ألفاظه، وما ع سـى أن يصل إلـيـه تركـي ))<sup>(3)</sup> وقال عنه حين تقرب من الأمراء (( وقد تقدم عند الجمالي ناظر الخاص بسبب ما كان يطريه به في الحوادث.... فزاد في وجاهته واشتهرت عند أكثر الأتراك ومن يلوذ بهـ.... وربما حمله على إثبات ما لا يليق في الواقع والحوادث مما يكون موافقاً لغرضه خصوصاً في تراجم الناس وأوصافهم لما عنده من الضغـىـ والـحـقـ ))<sup>(4)</sup>.

ونجد أن السخاوي يقع بالخطأ نفسه حيث يذكر أنه ألف كتاب ذيل السلوك أجابه لطلب الأمير الكبير يشك بن مهدي الدوادار وفي ذلك يقول ((ثم أخذت في ضبط ما تيسر لي وذلك حين أمرني من إجابته عند العظماء كالواجب،

(1) السخاوي، الضوء الامع، ج 2، ص 23، وللمزيد ينظر: محمد مصطفى زيادة، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر، (القاهرة: 1949)، ص 41.

(2) عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص 98. رغم أن عنان لا يوافق السخاوي على ذلك، ينظر: السخاوي، الضوء الامع، ج 1، ص 358-359.

(3) السخاوي، الضوء الامع، ج 10، ص 306.

(4) المصدر نفسه، ص 306.

2009هـ/1430م

وإشارته بمفرد الإيماء للوقاية كالحاجب..... وبه محط رحال الساعي في مأربه، فالعلماء بمجلسه حافون<sup>(1)</sup>.

وبسبب شدة السخاوي على معاصريه من المؤرخين فقد تعرض لنقد شديد من جانب بعض المؤرخين المعاصرين، حتى أرجعوا أسباب تلك الشدة ليس إلى عدم الالتزام بشروط التاريخ أو الخروج عن مدرسة النقد التاريخية التي تأثرت بعلم الجرح والتعديل، بل إلى المنافسات الشخصية بين السخاوي ومعاصريه، من أمثال المقرizi والعيني وابن تغري.

بردي حتى ذهب أحدهم إلى أن عدم حصول السخاوي طول حياته على وظيفة سنية في الدولة المصرية، مثل تدريس الحديث أو القضاء هي من أهم أسباب نقه لمعاصريه<sup>(2)</sup>، ووصفه محمد عبد الله عنان بأنه كان ينقد من أجل الهمد وليس من أجل التقويم (( بيد أن الذي يدعوا إلى الدهشة هو أن روحًا عامة من النقد اللاذع تغلب على هذه الترجم، وتذهب في أحيان كثيرة إلى حد الهمد ويبدوا أن هذا الميل المصطرم إلى هدم الرجال والخلال واضحًا بالنسبة لجماعة معينة من الأشخاص هم الجماعة التاريخية التي التفت حول المدرسة المقريزية أو اتصلت بها))<sup>(3)</sup>.

إلا أن الرد على قول عنان يأتي من خلال كلامه نفسه ومن أن السخاوي قد استأثر في كثير من الأعوام الطويلة التي قضاها إلى جانب ابن حجر في نهل من علمه وعارفه ويتأثر بأساليبه ومناهجه، بل بوسعنا القول أن السخاوي كان يهد ابن حجر مستودع علمه، وكان أشد تلاميذه تمثيلاً لمدرسته، وأصبح رافع لوائها وحامل مناهجها حتى نهاية القرن التاسع الهجري<sup>(4)</sup>، ويعرف الباحث عنان بأن مدرسة ابن حجر والsxawiyi ليست بدعاً، بل إنها ورثت مدرسة الجمع بين علم الحديث ولasisima الجرح والتعديل وكتابة التاريخ وترجم الأعيان ابتداءً من الطبرى

(1) زيادة، المؤرخون في مصر، ص88.

(2) زيادة، المؤرخون في مصر، ص83.

(3) عنان، المصدر السابق، ص124.

(4) عنان، المصدر نفسه، ص130.

وبلغت ذروتها في كتابات مؤرخ الإسلام الذهبي وبذلك برزت هذه الصبغة التقدية التي صبغت أعمال السخاوي التاريخية ولاسيما لمن كان مؤرخاً معاصرًا له.

## حكم الشريعة في كتابة التاريخ:

اختلاف الحكم الشرعي بشأن الكتابة التاريخية عند السخاوي، من حيث الوجوب أو غيره من الأحكام، فقد جعل حكمه واجباً أو فرضاً إذا كان التاريخ الطريق للوقوف على اتصال الخبر (سلسلة الرواية)، ولمعرفة النسخ، وللأنساب التي نشأ عنها التوارث والكفاءة<sup>(1)</sup>، إذن فهو واجب إذا تعلق الأمر بما يخص بعض الأحكام مثل معرفة علوم الحديث التي يبني عليها الحال والحرام أو وصف الدين العقيدة، لأن الحديث المصدر الثاني للتشريع في الإسلام الذي تقام عليه العقيدة والشريعة، أما الأنساب ووجوب معرفتها فقد أفاض الحافظ ابن حجر العسقلاني في ذلك، ونقل العديد من الأمور حول ضرورة معرفة الأنساب والإطلاع عليها، لما يقام من أحكام شرعية على النسب من معرفة نسب رسول الله ﷺ وتجنب الزواج بالمحارم ومعرفة من يلقاه من صلة الرحم، حتى أن بعض الفقهاء من يفرق في أحكام الجزية، والاسترقاق على معرفة نسب العرب من العجم<sup>(2)</sup>.

بل ذهب السخاوي إلى أن حكمه ليس بمطرد واحد، فهو واجب كما تقدم، وذهب إلى قول البعض من أن عليه مدار الأحكام، والبعض إلى أنه من فروض الكفايات، والبعض إلى أنه مما ينبغي ولكنها متمحضة الوجوب، وقد يندرج تحت المستحب، وربما أستعمل في المباح<sup>(3)</sup>.

(1) السخاوي، الإعلان، ص454.

(2) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ط3، دار الفيحاء (دمشق:2000)، ج6، ص645.

(3) السخاوي، الإعلان، ص 454؛ للمزيد ينظر: الملاح، هاشم يحيى، الثقافة التاريخية في الفكر الإسلامي والحديث، بحث منشور ضمن الموسم الثقافي للمجمع العلمي العراقي، منشورات المجمع العلمي العراقي، (بغداد:1998)، ص51-54.

1430هـ/2009م

أما عن كونه أقرب إلى الوجوب فقد نقل عن علماء الحديث وجوب بيان أحوال الكذابين من الرواية، لأنه أصل من أصول حفظ الشريعة<sup>(1)</sup>. وأما عن كونه حرام فهو ما يقع لبعض المؤرخين الذين ينقلون من كتب الأولين، من الخرافات، وكذلك يدخل فيه حكم التاريخ.

إن ما تقدم من حكم الشريعة في كتابة التاريخ من حيث الوجوب والتحريم والاستحباب والكرابة والإباحة، نجد أن السخاوي وغيره من العلماء قد التزموا بهذا المنهج والذي يهمنا من هذه الأحكام حكم التحريم من التأليف، فكيف يمكن معرفة أسباب الفشل والانحطاط إن لم تذكر أسبابه من تعسف حكام أو تبيين النقاط الأكثر ضعفاً في التاريخ سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم علمية والتزام عدم ذكرها لأنها قد تدخل في باب المحرم من التدوين فكيف نأخذ العبر والعظات أن لم يكتب التاريخ بإشرافاته وانتكاسته.

ونجد أن السخاوي قد عمد في العديد من كتبه إلى ذكر العيوب والزلات لمن يترجم لهم حتى يُعرف المؤثرون من المجرورين من الأعيان والأمراء وهذا ما صرّح به في مقدمة الضوء الالمعم، حين قال ((إذا ورد في الشرع بإزالة كل منزلته بشروطه المعتبرات، وبين المزلزلين من الإثبات، والضعفاء من العدول الثقات وأهل السنة من فاسدي العقائد ليكون المرء على بصيرة فيما يصل إليه منهم ولو في القضاء والفتيا، وما لهم من المصنفات فكيف بذوي الروايات وهو يجريانه في المصالح وكذا في النصائح العامت، كان ذكر المرء بما يكرهه من أوكد المهمات، بل من الواجبات))<sup>(2)</sup>.

و بذلك فإن ذكر المساوى والعيوب ليس حكراً على علم الرجال بل يشمل التاريخ كله من أجل الاعتزاز والاعتبار وعدم الوقوع بنفس الأخطاء عبر العصور كما قيل، والسعيد من بغيره أتعض، وهذا منهج القرآن الكريم حين وصف قصص الأمم السابقة، وحث الأمة على السير والتطلع في أمر من كان قبلنا سواء كان

(1) السخاوي، الإعلان، ص 454-455.

(2) السخاوي، الضوء الالمعم، ج 1، ص 4.

من المستحبين لرب العالمين أو من الكفار العاصين وكذلك ما ينصلح والمحكي عن الواقع بين الصحابة من الإخباريين إذ الغالب عليهم الإكثار والتخلط<sup>(1)</sup>، أي أن السخاوي لا يقبل روایات الإخباريين التي لا تلتزم قواعد علم الحديث ولا سيما إن كانوا من أهل البدع والأهواء، وهو بهذا يدعو إلى ضبط الروایات بمقاييس الجرح والتعديل، وما يدخل في باب التحرير، ذكر أناس من الملوك والأكابر ويضاف إليهم شرب الخمر، وفعل الفواحش مما هو ضعيف وتصحیحه عزيز، ويزيد من إشاعة الفاحشة أن صحت الروایات، ويدخل في باب القذف أن لم تصح تلك الروایات، وما هو من أسباب دخول التاريخ في الحرام ما يظهر من مساوى الكبير، وزيادة الجرح الذي يخرج عن مقصد تشريعه<sup>(2)</sup>.

وما أدخله السخاوي من الروایات وكتابه التاريخ تحت المستحب أو الندب إليه، فكان أبرزها، أن يكون طریقاً لإتباع محسن الأمور وترك العمل بالشوائب والمشائئ، وأخذ العبر من العوائق<sup>(3)</sup>.

وذهب قسم آخر إلى أنه يدخل تحت حكم المكره وأبرزه ما نقله ابن الأثير حين قال ((تسوید كثير منهم للأوراق حسبما ذكره ابن الأثير، بصغرائهم الأمور التي الإعراض عنها أولى وترك تسطيرها أخرى وأعلى، كقولهم خلع على فلان.... وأهين فلان وهو من أئمة المسلمين أصحاب الهيئات المعتبرين لاقتضاء هذا التجري على غيرهم))<sup>(4)</sup>.

والحكم الخامس المباح فقد قال ((ومنه ما هو مباح حيث لا نفع فيه لا دنيوي ولا آخردي، كما صرخ به حجة الإسلام الغزالى في الأحياء وأما المباح من العلم فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار))<sup>(5)</sup>.

(1) السخاوي، الإعلان، ص 457.

(2) المصدر نفسه، ص 457-458.

(3) المصدر نفسه، ص 458.

(4) المصدر نفسه، ص 458.

(5) المصدر نفسه، ص 459.

## نتائج البحث:

ما تقدم نجد تركيز الحافظ ابن حجر العسقلاني وتلميذه السخاوي على أهمية علم التاريخ وأنه من العلوم الإسلامية الأصيلة، وعلى المؤرخ المسلم الذي يكتب التاريخ الالتزام بالعدل والعدالة والصدق والأمانة وقول الحق، وعدم الانجرار وراء الخلافات المذهبية أو التناقض بين العلماء مما يؤدي إلى عدم الأمانة العلمية ولاسيما في أمور الجرح المفرط، ويجب عليه عدم الخوض في الاخبار التي لا تصح وروایات الإخباريين غير الدقيقة.

أما دور المؤرخ المسلم المعاصر ، ففضلاً عن تمثيل والتزام قواعد ابن حجر العسقلاني والسخاوي ، فلا بد له من التقيد والانضباط بأمور عدة وضعها كبار الكتاب المعاصرين (\*) حتى يصبح مؤرخاً مؤهلاً لإعادة مجد الحضارة الإسلامية واللتزام بمبادئها ومن أبرز تلك القواعد التي ذكروها: الرجوع إلى المصادر الموثوقة ومن أهمها كتب الحديث الشريف وتطبيق قواعد الجرح والتعديل على الروايات التاريخية في العصر الراشدي والأموي ذات العلاقة بالفكر

الإسلامي وما شجر بين الصحابة والتابعين على سبيل المثال وليس الحصر ، التركيز على أن العقيدة الإسلامية هي المحرك لسلوك المجتمع المسلم ، وأن يفهم الإيمان فهم صحيح ودوره في بلورة حركة التاريخ الإسلامي ، وأن لا يقتصر المؤرخ على تفسير واحد لحركة التاريخ بل لا بد أن يقدم تفسيراً يرتبط بالأحداث من جميع الجوانب أي تفسيراً شاملأً و حقيقياً للأحداث ، ولا بد للمؤرخ المعاصر أن يتصرف بالعلم والعدل ، والإنصاف ، ((ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعذلوا إعدلوا هو أقرب للنحو)) وأن يكون الحكم على الأشخاص من خلال قاعدة العبرة بكثرة الفضائل ، ولا بد للمؤرخ المسلم أن يوضح جميع الظروف للحادثة التاريخية من

(\*) من أبرز الكتاب المعاصرين: الدكتور محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، والتفسير الإسلامي للتاريخ . والدكتور عماد الدين خليل ، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، والدكتور أكرم العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، وكتاب المجتمع المدني ، والدكتور محمد بن صامل الإسلامي وكتابه منهج كتابة التاريخ الإسلامي وغيرها الكثير.

خلال تحديد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية حتى يكون الحكم أقرب إلى الصواب، مع مراعاة ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وحال الأمة الإسلامية آنذاك، ولا بد للمؤرخ الملتم بالإسلام قولهً وعملاً أن يركز على استعمال الألفاظ والمصطلحات الإسلامية الشرعية وعدم الانجرار وراء ألفاظ ومصطلحات الغربيين ن والمستعربين مثل اليمين واليسار والديمقراطية وغيرها.

## ***The Historian Role in the Islamic-Arab Civilization in Al-Sakhawi's Writings***

**Dr. Mohammed Ali Salih \***

### ***Abstract***

This research deals with the role that the Islamic-Arab Civilizations plays through the writings of the historian Al-Sakhawi. The research included several issues such as the importance and the benefit of history among other sciences, also the conditions the historian should have the foremost of which fair-mindedness, precession and not to overdo in scrutiny, and in criticism. In addition to the good knowledge whereby he narrates the events.

Moreover, the paper deals with the practical side in the writings of Al-Sakhawi through the returning to some of the biographies of historians which can be found in books like “Al-Dha'a Al-Lami'a”. Similarly, the research considers the opinion of the Islamic law concerning writing history because Al-Sakhawi has listed writings history among the five essential Islamic Rules, i.e. (Wajb) the compulsory duty (Al-Mustahab) the recommended, (Al-Makroh) the reprehensive, (Al-Mubah) the permissive and (Al-Haram) the forbidden.

Also, the research explains some of the conditions that the contemporary Muslim historian should have.

\* Dept. of History/ College of Arts/ University of Mosul.

